المورد

مجلة تُراثيّة نصف سَنَويّة مُحكمَة

تصدرُها وزارةُ الثقافة والاعلام ـ دائرة الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

المجلد الحادي والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م

الأعشاب الطبية في التراث العربي

WWW.ATTAWEEL.COM

عدد خاص

هذا العدد المتميز معقود
كالمألـــوف في مضامـين
المورد على الافتتاحية
والدراسات والنصـــوص
المحققـــة والأثبـــات
الفهرسية التي تخـــدم
الصحة العراقية في ظرفنا
الحصاري المأزوم .

في النباتات المستعملة في الحمية حسب الفصول

تاليف

اسحاق بن عمران البغدادي

(من اهل القرن الثالث الهجري)

تحقيق

الدكتور عادل البكري

عضو اتحاد المؤرخين العرب

المقدمة

يزخر التراث العربي بالآلاف من المخطوطات التي بقيت دون تحقيق والتي يرود الكثير ممن يعنى بهذا التراث ان يطلع عليها نظرا لما تحتويه من علوم وثقافة جديرة بالاهتمام .

وكنت عازما منذ فترة طويلة على تحقيق مخطوطة الطبيب اسحاق بن عمران في الاغذية النباتية المستعملة حسب الاشهر والفصول ، وهي رسالة صغيرة من خمس صفحات يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر الهجري ، وهي مما تضمه مكتبتي الخاصة ، فما تيسر لي هذا العمل لاسباب منها انني لم اعثر على نسخة اخرى من المخطوطة، بل لم اجد ذكرا لها في المصادر التي تتحدث عن اسحاق ابن عمران ومؤلفاته(١) . وتركت الأمر الى ان وجدت صاحب العقد الفريد يذكر الرسالة ضمن ما يذكره من اخبار ورسائل(٢) ولكن باختلاف بسيط في النص والمحتوى . فالرسالة في العقد الفريد عنوانها (كتاب اسحاق بن عمران الى بعض اخوانه) ، وهي في المخطوطة بالعنوان المذكور اعلاه ، واظن ان هذا العنوان ليس من اصل الرسالة بل اضيف اليها فهو تعريف بما تتضمنه من اغذية نباتية وغير نباتية واشياء اخرى كالفصادة والحجامة واستعمال النورة واكل اللحوم والالبان في الاوقات التي تقتضي ذلك خلال اوقات الحمية .

وهناك اختلاف آخر بين النصين غير اختلاف العنوان وهو ذكر اسماء الاشهر الافرنجية في نص العقد الفريد وعدم ذكرها في المخطوطة التي جعلناها اساسا للتحقيق ، اضافة الى وجود زيادات في المخطوطة ذكرها ابن عبد ربه في موضع آخر من كتابه ، وسياتي ايضاحه بعد قليل . وقد حافظت على نص المخطوطة كما هو في نسختنا ، وبينت في الهامش الاختلاف بين هذا النص وبين نص ابن عبد ربه . وشرحت ما يجب شرحه من مصطلحات طبية وغيرها حيث لم يضع محقق العقد الفريد اي شرح او تعليق في هوامش الرسالة ، مع ذكر ترجمة اسحاق بن عمران كما اوردها كل من ابن جلجل وابن ابي اصيبعة ، وايضاح ما يجب ايضاحه وذكر تراجم الاعلام الواردة فيه .

من هو اسحاق بن عمران ؟

هو احد الاطباء المشهورين في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وكان يلقب بسم ساعة ، وردت ترجمته في اكثر كتب التراث منقولة عن كتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، وننقلها في ما ياتي بالنص

اسحاق بن عمران : مسلم النحلة(٢) ، بغداد الاصل ، دخل القيروان(٤) في دولة زيادةالله بن الأغلب(وهو إستجلبه واعطاه شروطا ثلاثة لم يف [له](باحدها(٥) : بعث اليه عند وروده عليه راحلة اقلته والف دينار لنفقته ، وكتاب امان بخط يده انه متى اح الانصراف الى وطنه انصرف . وبه ظهر الطب بالمغرب(وعرفت الفلسفة . وكان طبيبا حاذقا مميزا(٩) بتاليف الأدوية المركبة ، بصيرا بتفرقة العلل ، اشبه الاوائ في عامه وجودة قريحته ، استوطن القيروان حينا والف(١٠) كتبا منها كتابه المعروف بنزهة النفس،وكتا في داء المالخوليا(١١) لم يسبق الى مثله ، وكتابه في الفصد وكتابه في النبض(١٢) . ودارت له مع زيادةالله بن الاغل محنة اوجبت الوحشة(١٣) بينهما ، حتى صلبه ابن الأغلب

وكان اسحاق قد استاذنه في الانصراف الى بغداد فلم يأذن له ، وكان اسحاق يشاهد أكل ابن الاغلب

فيقول له : كل هذا ، ودع هـــذا ، حتى ورد على ابن الاغلب حدث يهودي اندلسي ، فاستقربه وخف عليه ، واشهده اكله . فكان اذا قال اسحاق له : اترك هـــذا لا تاكله ، قال الاســرائيلي : نصلحه[١٤] عليك . وكان بابن الاغلب علة النسمة[١٥] ، وهي ضيق النفس ، فقدم بين يديه لبن مريب فهمّ باكله ، فنهاه اسحاق ، وسهل عليه الاسرائيلي ، فوافقه بالاكل ، فعرض له في الليل ضيق نفس[١٦] حتى اشرف على الهلاك . فارسل لاسحاق ، وقيل له : هل عندك من علاج ؟ فقال : قد نهيت[١٧] فلم يقبل مني ، ليس عندي علاج . فقيل لاسحاق : هـــذه خمسمائة دينار[١٨] وعالج[١٩] . فأبى حتى انتهى[٢٠] الى الف مثقال . فاخذها وامر باحضار الثلج ، وامره بالاكل منه حتى يمتلئ[٢١] . ثم قياه ، فخرج جميع اللبن قد تجبن ببرد الثلج . فقال اسحاق : أيها الأمير ، لو وصل[٢٢] هذا اللبن الى انابيب رئتك ولحج[٢٣] فيهـا اهلكك بتضييقه للنفس[٢٤] ، لكني أجمدته[٢٥] واخرجته قبل وصوله . فقال زيادة الله : باع اسحاق روحي في الندا[٢٦] ، اقطعوا رزقه[٢٧] . فلما قطع عنه الرزق خرج الى موضع فسيح من رحاب القيروان ، ووضع هنالك كرسيا ودواة وقراطيس ، فكان يكتب الصفات[٢٨] كل يوم بدنانير . فقيل لزيادة الله : عرضت باسحاق للغنى[٢٩] فأمر بضمه الى السجن ، فتبعه الناس هنالك ، ثم اخرجه بالليل الى نفسه .

وكانت له معه حكايات ومعاتبات ، حتى غضب عليه زيادة الله وامر بفصده في ذراعيه جميعاً ، وسال دمه حتى مات ، وامر بصلبه على الجذع الذي كان صلب عليه الفزاري[٣٠] .

قال ابو جعفر احمد بن ابراهيم[٣١] : طال مقام اسحاق مصلوباً ، حتى عشش في جوفه صقر[٣٢] لطول مقامه ، وكان طويل اللحية فما تساقط شعرها ، ولقد كان يهتز بالريح . وكان مما قال لزيادةالله في تلك الليلة: يا ملخوني[٣٣] والله انك لتدعي سيد العرب ، وما انت لها بسيد ، ولقد سقيتك منذ دهر دواءً ليفعلن في عقلك. وكان زيادةالله مجنوناً فتملخن ومات .

النص :

كتاب اسحق بن عمران في النباتات المستعملة في الحمية حسب الفصول

كتب اسحاق بن عمران المعروف بسمّ ساعة الى رجل من اخوانه : اعلمك ـ رحمك الله ـ ان الخام[١] والبلغم يظهران على الدم والمرة بعد الاربعين سنة فياكلانها ، وهما عدوا الجسد وهادماه . ولا ينبغي لمن خلف الاربعين سنة ان يحرك طبيعة من طبائعه غير الخام والبلغم ، ويقوي الدم جاهداً . غير انه ينبغي له في كل سبع سنين ان يفجر من دمه شيئاً ، ومن المرة مثل ذلك[٢] لقلة صبره على الطعام اللذيذ والمشروب الروي[٣] . فتعاهد اصلحك الله ذلك من نفسك ، واعلم ان الصحة خير من المال والاهل والولد ، ولا شيء بعد تقوى الله سبحانه وتعالى خير من العافية . ومما تاخذ به نفسك وتحفظ به صحتك ان تلزم ما اكتب به اليك :

في شهر[٤] : لا تاكل السلق ، واشرب شرابا شديدا كل غداة .

في شهر : لا تاكل السلق[٥] .

في شهر : لا تاكل الحلواء كلها وتشرب الاقسنتين[٦] في الحلاوة .

في شهر : لا تاكل شيئا من الاصول التي تنبت في الارض ولا الفجل .

في شهر : لا تاكل راس شيء من الحيوان .

في شهر : تشرب الماء البارد بعد ما تطبخه وتبرده ، على الريق .

في شهر : تجتنب الوطء .

في شهر : لا تاكل الحيتان[٧] .

في شهر : تشرب اللبن البقري .

في شهر : لا تاكل الكرات نيئا ولا مطبوخا .

في شهر : لا تدخل الحمام .

في شهر : لا تاكل الارانب .

وزعم علماء الطب ان في الجسد من الطبائع الاربع اثنى عشر رطلا ، فللدم منها ستة ارطال ، وللمرة والسوداء والبلغم ستة ارطال . فان غلب الدم الطبائع[٨] تغير منه الوجه وورم ، وخرج ذلك الى الجذام . وإن غلبت تلك الطبائع الدم انبتت المرة[٩] .

قال : فاذا خاف الانسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا ، فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشي . فانه إن لم يفعل اعتراه ما وصفناه ، إما جذام وإما مرة نسال الله العافية . ولا باس بعلاج الجسد في جميع الازمان إلا أيام السموم ، إلا ان ينزل فيها مرض شديد لا بد من مداوائه ، او يظهر فيها سوم[١٠] او ذات الجنب[١١] فانه ينبغي للطبيب ان يعانيه بفصاد او شيء خفيف ، فانها ايام ثقيلة وهي خمسة عشر يوما من تموز الى النصف من آب[١٢] فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج . وكان بقراطيس[١٣] يجعلها تسعة واربعين يوما ، ويقطع الغرر والخطر في ايام القيظ ، فاذا مضى لأيلول ثلاثة ايام طاب التداوي كله .

وامر جالينوس في الربيع بالحجامة والنورة واكل الحلاوة وشربها ، ونهى عن القطائي[١٤] واللبن الرائب وعتيق الجبن والمالح ، والفاكهة اليابسة إلا ما كان مسارقا[١٥] .

وفي القيظ ، وهو زمان المرة الصفراء(١٦) يأكل البارد الرطب على قدر قوة الرجل في طبعه وسنه ، وترك الجماع ، وأكل الحوت الطري والفاكهة الرطبة والبقول ولحم البقر والمعز ، ومن القطاني العدس ومن الاشربة المربب بالورد(١٧) والسكركة من الشعير(١٨) والسكر بالماء المطبوخ ، وأكل الكزبرة الخضراء في الاطعمة ، وأكل الخيار والبطيخ ، ولزوم دهن الورد وماء الورد ، ورش الماء وسط البيت بورق الشجر ، ومن الدواء السكر بالمصطكا، يسحقهما مثلا بمثل ويأخذهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلا .

وفي زمان الخريف وهو زمان السوداء ، وهو أثقل الأزمنة على اهل تلك الطبيعة ، من الطعام والشراب المحار(١٩) الرطب ، مثل الاحساء بالحلاوة ، وأكل العسل وشربه ، ونهى فيه عن الجماع ، وأكل لحم المعز والبقر، وامر باكل صنوف حيوان البر والبحر ، وحسو البيض، والدهن قبل الحمام ، واتيان النساء على غير شبع في آخر الليل وفي اول النهار ، والتماس الولد على الريق من الرجل والمراة ؛ فان اولاد ذلك الزمان اشد واقوى تركيبا من غيرهم كما قالت الحكماء .

الاطعمة التي تحبس البطن(٢٠) اذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجنا الى الاطعمة الممسكة الحابسة للبطن . وكل ما غلب عليه من الاطعمة اليبس او العفوصة او الغلظ كالسفرجل والكمثرى وحب الآس وثمر العوسج وجرم العدس والبلوط والشاه بلوط(٢١) والنبيذ المقص يمسك البطن لعفوصته وقبضه والجاورس(٢٢) والدخن وسويق الشعير تمسك البطن ببيوستها .

الاطعمة التي تجلو المعدة وتفتح السدد ، ماء الكشك كشك الشعير يجلو المعدة ويفتح السدد . والحلبة والبطيخ والزبيب الحلو والباقلاء والحمص الاسود ينقي الكلى ويفتت الحجارة المتولدة فيها .

الاطعمة التي تنفخ ، الحمص والباقلاء ولا سيما اذا طبخ بقشره ، فان طبخ مقشرا او مسحوقا كان اقل نفخا وإن قلي ايضا كان اقل نفخا ، واللوبياء والماش والعدس والشعير اذا لم ينعم طبخها .

والقثاء والانجدان(٢٣) والحلتيت(٢٤) والتين الرطب يولد نفخا إلا انه ينحل سريعا لسرعة انحداره . وقد استحكم نضجه من التين والعنب كان اقل نفخا . ويابس التين أقل نفخا من رطبه .

هوامش المقدمة

(١) يذكر فؤاد سيد نسخة اخرى من هذه المخطوطة ضمن مجموعة يرجع تاريخها الى اواخر القرن العاشر الهجري كتبها محمد بن القريف التونسي عام ٩٩٣ هـ وهي بعنوان (رسالة من اسحاق بن عمران الى بعض اخوانه في حفظ الصحة وتدبيرها) وهي محفوظة في خزانة احمد خيري بدسونس في مدينة البحيرة .

(٢) العقد الفريد ـ احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ـ تحقيق محمد سعيد العريان ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٣ ـ ج٨ ص٤١ .

(٣) في مسالك الابصار في ممالك الامصار ـ لابن فضل الله العمري: مسلم الدين .

(٤) في عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ لابن ابي اصيبعة ـ دار صادر ، بيروت ـ ١٩٥٦ : دخل الربقية .

(٥) زيادة الله بن عبدالله بن ابراهيم بن الاغلب التميمي : آخر امراء الدولة الاغلبية بتونس ، وهو الثاني عشر ممن تولوا امارتها منهم وكان ميالا الى اللهو . وقد ولاه ابوه امارة صقلية فمكث على لذاته ، فعزله عنها وسجنه فدس لابيه ثلاثة من الصقالبة فقتلوه ونادوا بزيادة الله أميرا على افريقية سنة ٢٩٠ هـ ، وعند ذلك فتك باخوته واعمامه وعاد الى لهوه واهمل شؤون البلاد . وفي تلك الايام استفحل امر الثائر ابي عبدالله داعية المهدي حتى تغلب على البلاد وفر زيادة الله سنة ٢٩٦ هـ الى مصر ، ثم قصد بغداد فمر بالرقة فاستوقفه الوزير ابن الفرات واستاذن فيه الخليفة المقتدر العباسي فامر بزده الى المغرب.وعندما عاد الى مصر مرض فقصد بيت المقدس فمات بالرملة من ارض فلسطين سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) وانقرضت به دولة الاغالبة .

(٦) زيادة من عيون الانباء .

(٧) يبدو من هذا النص انه وفى له بشرطين منها ، فقد بعث اليه بالراحلة التي اقلته وبالالف دينار لنفقة سفره ، وبهما استطاع الوصول الى تونس . غير انه لم يف له بالشرط الثالث وهو رجوعه الى وطنه متى احب ذلك ، فقد منعه من الرجوع بخلاف ما وعده من قبل .

(٨) في مسالك الابصار : (في الغرب) .

(٩) في عيون الانباء : (متميزا) .

(١٠) في مسالك الابصار : (والف فيه كتبا) .

(١١) الصواب : (المالنخوليا) ماخوذة من الكلمة اللاتينية وهو الوهن العصبي الاكتئابي او السوداء

Melancholia

ويسمى الآن النوروستانيا وقد جعل اسحاق بن عمران كتابه مقالتين في اسباب المرض واعراضه وعلاجه .

(١٢) ذكر ابن ابي اصيبعة عددا آخر من مؤلفاته ككتاب الادوية المفردة وكتابة العشر والتمام ومقالة في الاستسقاء ومقالة في القولنج وكتاب في البول وغيرها .

(١٣) في عيون الانباء : (الوحدة) .

(١٤) في عيون الانباء : (بصعبه) .

(١٥) علة النسمة هي الربو اي ضيق النفس تتلمس لعباب الر

(١٦) في عيون الانباء : (النفس) .

(١٧) في عيون الانباء : (نهيته) .

(١٨) بهامش الاصل : (مثقال) ، وكذا في عيون الانباء . وفي مسا الابصار (دينار) .

(١٩) في عيون الانباء : (ومالجه) .
(٢٠) في عيون الانباء : (بلغ) .
(٢١) في عيون الانباء : (لعلا) . وفي مسالك الابصار : (امتلا) .
(٢٢) في عيون الانباء ومسالك الابصار : (دخل) .
(٢٣) لحج : اي نشب في مكان ضيق .
(٢٤) في عيون الانباء : (بضيقه النفس) .
(٢٥) في عيون الانباء ومسالك الابصار : (اجهدته) .
(٢٦) في عيون الانباء : (في البدء) ، وهو الاقرب الى الصواب .
(٢٧) لقد اخطا اسحاق بن عمران في عدة مسائل : منها عدم اتيته معالجة الامير الذي كان بحاجة الى المعالجة وهو ما يخالف آداب مهنة الطب .

ومنها قبوله المعالجة بعد زيادة اجوره مما يدل على المساومة والطمع . ومنها اعتقاده ان اللبن يدخل انابيب الرئة ويلحج فيها ويسبب ضيق النفس ثم لجوءه الى تجميد اللبن واخراجه من المعدة وهو عمل لا علاقة له بمعالجة الربو .

(٢٨) الصلات :ومفردها صلة ، اي صلة الدواء او تركيبه ،وهي ما ندعوه الآن بالوصفة . وكان الاطباء العرب قد استعملوا الوصفات الطبية في المعالجة واخذها عنهم الاوربيون .
(٢٩) في عيون الانباء : (لاسحاق الفتى) .
(٣٠) هو ابراهيم الفزاري : كان من اهل المناظرة والجدل ورمي بالتعطيل ، واشهد عليه انه يستهزىء بالله وكتابه وانبيائه . وحكم عليه القاضي ابو العباس عبدالله بن طالب بصلبه لطعن بسكين في حنجرته وصلب منكسا ثم انزل بعد ذلك واحرق بالنار .
(٣١) هو الطبيب المعروف بابن الجزار القيرواني ، المتوفى سنة ٣٦٩ هـ حسب رواية ابن جلجل .
(٣٢) في عيون الانباء : (طائر) .
(٣٣) ملخوني وملخن : مشتقة من الالتخوليا وقد سبق التعريف بها .

هوامش النص

(١) اي الخلط الفاسد .
(٢) تلجم الدم بالفصادة وتلجم المرة بالاستفراغ .
(٣) اي لعدم استغناء المرء عن الطعام والشراب يلجأ الى الفصادة والاستفراغ .
(٤) جاء في نسخة العقد الفريد ذكر اسماء الاشهر الافرنجية بعد كلمة (شهر) حسب تسلسلها وهي كما يأتي : يثير ، فبربر ، مارس، ابزيل ، مايه ، يونيه ، يوليه ، اغشت ، سبتمبر ، اكتوبر ، نبنبر ، دجنبر .

ومن غير المتوقع ان يستعمل طبيب عربي من بغداد في اوائل العصر العباسي اسماء الاشهر الرومية ، فالمستعمل انذاك الاشهر القمرية او الاشهر الشمسية العربية وقد ذكرها المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ في مروج الذهب ـ علي بن الحسين المسعودي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ القاهرة ـ ١٩٥٨ ، وذكرها ابن النديم المتوفى سنة ٤٣٨ هـ ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة في الفهرست حسب ترتيبها المعروف الآن وقد وردت في كتب الادب العربي كقول ابي نواس :

مضى ايلول وارتفع العرور واخبت نارها الشعرى العبور

وقول محمد بن عبدالملك الزيات :

برد الماء وطاب الليل والتذ الشراب
ومضى عنك حزيران وتموز وآب

وان اختلاف اسماء الاشهر الرومية الواردة في العقد الفريد عن اسمائها الشائعة التي ذكرها المسعودي وغيره يجعلنا نظن انها الاسماء التي استعملها نصارى الاندلس وقد اضيفت الى المخطوطة التي نقلها ابن عبد ربه في كتابه . ومهما يكن من امر فقد اعتمدنا المخطوطة الموجودة بين ايدينا وهي خالية من اسماء الاشهر .
(٥) للاعتماد السائد بان السلق ينشي ويكرب ويولد المغص كما يقول داود الانطاكي في التذكرة فيمتنع عن تناوله في بعض الاشهر .
(٦) الافسنتين : نبات عشبي خشائشي يرتفع ساقه الى قدمين، ازهاره صفراء سنبلية واوراقه فريشية ، ورائحة النبات عطرية قوية نفاذة وطعمه شديد المرارة وهو من الهاضمات المقوية ، وتفيد مقاديره الكبيرة في طرد الديدان .
(٧) الحيتان هي مختلف انواع السمك المعروفة .
(٨) في نسخة العقد الفريد (فان غلب الدم والطبائع) وبذلك يتغير المعنى .
(٩) في اعتقاد الاطباء القدامى ان الجسم يحتوي على الدم والبلغم والمرة الصفراء والسوداء .
(١٠) اللوم هو البرسام اي مرض الصدر او اشد انواع الجدري .
(١١) ذات الجنب هو التهاب غشاء الجنب الذي يحيط بالرئتين .
(١٢) ترد اسماء الاشهر العربية (تموز واب) في هذا الموضع في كل من النسختين مما يؤيد قولنا بان اسحاق بن عمران كان يستعمل اسماء الاشهر العربية ، وان اسماء الاشهر الافرنجية (الرومية) اضيفت الى مخطوطة ابن عبد ربه بعدئذ .
(١٣) وهو ابقراط ابو الطب .
(١٤) ومفردها قطنية وهي الحبوب التي تطبخ كالعدس والحمص والباقلاء .
(١٥) في نسخة العقد الفريد (مصلوقا) .
(١٦) في نسخة العقد الفريد (الحمراء) .
(١٧) الفاكهة الربية هي المطبوخة بالسكر .
(١٨) وهي شراب الشعير او الفقاع .
(١٩) في نسخة العقد الفريد (بالحار) .
(٢٠) الصفات موجودة في اماكن متفرقة من نسخة العقد الفريد وتتمة للنسخة الخطية .
(٢١) الباوط معروف ، والشاه بلوط هو الكستناء .
(٢٢) وهو الذرة ، وهي نبات معروف .
(٢٣) الانجدان نبات يتفرع كثيرا وهو ذو زهر ابيض واوراق صابونية وينبت من اوجاع الصدر والسعال .
(٢٤) الطلتيت هو صمغ الانجدان .